ألفاظ عربية توضحها اللغات العروبية القديمة

أ. د. رفعت هزيم(*)

قد يظن المرء أنّ الفضل في بيان الصّلة بين العربيّة واللغات الساميّة — التي يُسمّيها الباحثون العرب «اللغات العروبيّة أو العربيّة القديمة» تارةً و«اللغات الجزيريّة أو الجزريّة» تارةً أخرى – وفي بيان انتماء هذه اللغات إلى فصيلةٍ لغويةٍ واحدة إنما يعود إلى الباحثين اللغويين في العصر الحديث، ولكن النظر في كتب التراث العربي يُثبت أنّ المتقدمين سبقوا إلى ذلك، فقد أشار الخليل بن أحمد (ت ١٧٥هـ) إلى لغة كنعان فقال: «وكنعان بن سام بن نوح يُنسب إليه الكنعانيون، وكانوا يتكلمون بلغةٍ تضارع العربية»(١). ونقل أبو حاتم الرّازي (ت ٣٢٢هـ) عن أبي عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ) كلاماً يُقارن فيه بين أداتَي التعريف في العربية والسريانية، فقال: «للعربِ في كلامها علامات لا يشركهم فيها أحدٌ من الأمم نعلمه ؛ منها: إدخال الألف واللام في أوّل الاسم وإلزامهم إياه الإعراب في كل وجهٍ في الرفع والنصب والخفض، كما أدخلوا في (الطُّور) وحذفوا الألف التي في الآخر فألزموه الإعراب في كل وجهٍ، وهو بالسريانية (طُورا) على حالٍ

(*) ألقى عضو مجمع اللغة العربية بدمشق الدكتور رفعت هزيم هذه المحاضرة بتاريخ ٢٥/ ١٠/ ٢٠١٧م.

(١) كتاب العين: ١/ ٢٠٥.

واحد في الرفع والنصب والخفض. وكذلك (اليمّ) هو بالسريانية (يمّا)، فأدخلت العرب فيه الألف واللام وصرفته في جميع الإعراب على ما وصفت»[٢]. ثم أشار ابن حزم (ت ٤٥٦هـ) - وهو أندلسيّ - إلى صلة القربى بين العربيّة وأخواتها فقال: «إنّ الذي وقفنا عليه وعلمناه يقيناً أنّ السريانية والعبرانية والعربية - التي هي لغة مُضر وربيعة لا لغة حمير - واحدة، تبدّلت بتبدّل مساكن أهلها فحدثَ فيها جرس كالذي يحدث من الأندلسي إذا رامَ نغمة أهل القيروان، ومن القيرواني إذا رام نغمة الأندلسي، ومن الخراساني إذا رام نغمتيهما...، فمن تدبّر العربية والعبرانية والسريانية أيقن أن اختلافها إنما هو من نحو ما ذكرنا من تبديل ألفاظ الناس على طول الأزمان واختلاف البلدان ومجاورة الأمم، وأنها لغةٌ واحدة في الأصل»[٣]. ونبّه السُّهيليّ (ت ٥٨١هـ) - وهو أيضاً أندلسيّ - إلى الصّلة بين العربيّة والسريانيّة بقوله: «وكثيراً ما يقع الاتفاق بين السريانيّ والعربيّ، أو يقاربه في اللفظ»[٤]. ويبدو أنّ أبا حيّان الأندلسيّ (ت٧٥٤هـ) تنبّه إلى الصلة بين العربيّة والحبشيّة «لقُرْب العرب من الحبش، ودخول كثيرٍ من لغة بعضهم في لغة بعض...، وقد تكلّمتُ على كيفية نسبة الحبش في كتابنا المسمّى بـ«جلاء الغبش عن لسان الحبش»، وكثيراً ما تتوافق اللغتان: لغة العرب ولغة الحبش في ألفاظٍ وفي قواعد من التراكيب نحويّة كحروف المضارعة وتاء التأنيث وهمزة التعدية»[٥]. وتشير المصادر إلى أنّ معرفة اللغويين اليهود في الأندلس العبريّةَ والسّريانيّةَ مكّنتْ بعضهم كـ«يهودا بن قريش»

(٢) الزينة للرّازي: ١/ ٧٧.
(٣) الإحكام لابن حزم: ١/ ٣٠.
(٤) التعريف والإعلام للسهيلي: ١١.
(٥) البحر المحيط لأبي حيّان ٤/ ١٦٢-١٦٣.

و«يهودا حيوج» و«ابن عزرا» من دراسة الصلة بينهما وبين العربيّة في المجالات الصوتيّة والصرفيّة والمعجميّة، فكانوا بذلك السابقين إلى الأخذ بالمنهج المقارن الذي اتّبعه المستشرقون في العصر الحديث. فهؤلاء لا يدرسون المسائل اللغويّة والنحويّة والمعجميّة في حلقةٍ ضيّقة مغلقة لا تتجاوز العربيّة، بل يأخذون بالمنهج المقارن ويوسعون إطار البحث ليشمل لغات الأسرة الساميّة، فيصلون بذلك إلى نتائج جديدة في دراسة العربيّة الفصحى ولهجاتها، ولم يلبث اللغويون العرب المحْدَثون الذين أُتيح لهم دراسة تلك اللغات أن حذوا حذوهم في هذا المجال.

وقد اخترتُ في هذا البحث أربعة من الألفاظ الفصيحة لدراستها بهذا المنهج لنتمكّن من جلاء ما يكتنف أصولها أو اشتقاقها أو دلالتها في كتب اللغة من غموض وارتباك، وإليك بيانها:

١- الكَهْل:

لا أدري ما يقوله أصحاب علوم الاجتماع أو الأحياء أو غيرهم من ذوي الاختصاص في تقسيم حياة الإنسان من مولده حتى مماته إلى مراحل، ولكنني لا أظن أنني أُجانبُ الصواب إذا قلتُ: إنّها ستّ: الطفولة فالفتوّة فالشباب فالرجولة فالكهولة فالشيخوخة، وليس من السهل تحديد البدء والنهاية لكلٍ منها تحديداً دقيقاً؛ لأنّ العوامل الوراثية والعضوية والبيئيّة تؤثّر في أجسام الناس ونفوسهم وعقولهم تأثيراً لا يُستهان به، زدْ على ذلك المؤثّرات المختلفة المتصلة بالحياة الاجتماعية والعمل والطعام والشراب، فإذا شئنا التعميم قلنا: إنّ الكهلَ في اصطلاح المعاصرين هو مَن جاوز الخمسين أو شارف على الستين. فهل كان كذلك عند المتقدّمين؟

نقل ابن منظور آراء بعضهم، فقال: «وفي الصحاح: هو الذي جاوز

الثلاثين ووَخَطهُ الشيبُ، وقال ابن الأثير: مَن زاد على ثلاثين سنة إلى الأربعين، وقيل: هو من ثلاثٍ وثلاثين إلى تمام الخمسين، وفي «المحكم» لابن سيدة: قيل: هو من أربعٍ وثلاثين إلى إحدى وخمسين، وقال أبو منصور الأزهري: إذا بلغ الخمسين يُقال له كهل[٦]. واكتفى الراغب الأصفهاني بالقول: «مَنْ وخطهُ الشيبُ»[٧]، وزاد صاحبُ «اللسان»: «ورأيتَ له بَجالة»، وقد ذكروا أن «البَجال من الرِّجال هو الذي يُبجّله أصحابُه ويُسوّدونه»[٨].

ولن يمنعنا اختلافهم في تحديد عمر الكهل من تعرّف المعايير التي يستندون إليها في تعريفه وتمييزه، فهي لا تتجاوز معيارين اثنين ؛ أحدهما: أن يكون قد وخطه الشيب، والآخر: أنْ يكون قد تجاوز مرحلة الشباب دون أن يبلغ مرحلة الشيخوخة، ولذا ارتأَوْا أنْ يكون عمره بين الثلاثين والخمسين. ومن الواضح أن هناك تناقضاً بين الشيب و الشباب، فإذا كنا لا ننكر أن الشيب قد يبدأ في سنٍّ مبكّرة فإنّ الأعمّ الأغلب أنه لا يأتي إلا بعد انقضاء عهد الشباب، فكيف نعلل هذا التناقض؟

يبدو لي أنّ اشتراطهم أن يكون الكهل ذا شيبٍ، ثمّ اختلافهم في تحديد سنّه ناشئان عن ربطهما بأمورٍ أخرى، فأمّا الذين رفعوا عمره إلى الخمسين فالظاهر أنهم اعتمدوا على هذا البيت الذي رواه الأزهريّ[٩]:

هل كهلُ خمسين إنْ شاقتْهُ مَنزلةٌ ... مُسَفَّهٌ رأيُهُ فيها ومَسْبوبُ؟

ثم رووا حديثاً في فضائل أبي بكرٍ الصدّيق وعمر بن الخطّاب رضي الله

(٦) عن لسان العرب (كهل) بتصرّف.

(٧) المفردات للراغب الأصفهاني: ٤٤٢.

(٨) «الليث: رجلٌ ذو بَجالةٍ وبجْلةٍ ؛ وهو الكهل الذي ترى له هيئةً وتبجيلاً وسِنّاً» (اللسان: بجل).

(٩) نقله اللسان وقدّم له بقوله: «قال أبو منصور [أيِ الأزهريّ]: وإذا بلغ الخمسين فإنه يقال له كَهْل».

عنهما يقول: «هذان سيِّدا كهول الجنّة»، وأما الذين خفضوا عمر الكهل إلى الثلاثين أو زادوها ثلاثاً فقد احتجوا بما ورد في القرآن الكريم عن عيسى عليه السلام: ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [آل عمران: ٤٦] ﴿إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾ [المائدة: ١١٠]. وهذا يعني أنّ تعريف «الكهل» - عندهم - وتحديد سنّه مرتبطان بتفسيرهم للشواهد المذكورة، فالرّجل في البيت المروي كهلٌ بلغ الخمسين، وحياة المسيح عليه السلام كانت في بعض الروايات ثلاثين سنةً وفي بعضها الآخر ثلاثاً وثلاثين، والظاهر أنّ الفاروق (ت ٦٤٤م) كان - حين قيل الحديث - في سنّ الخمسين وأنّ الصدِّيق (ت ٦٣٤م) جاوزها، وقد وخطهما كليهما الشيب.

والصحيح أنّ «الكهل» مأخوذ من «الكاهل»، وهو - مِن الفَرَس - مُقدَّمُ أعلى الظَّهر مما يلي العنق ؛ و- مِن الإنسان - ما بين الكتفين أو مَوْصِل العنق في الصُّلب، ثم انتقل إلى المعنى المجازي، قال الأزهري: «وسمعتُ غير واحدٍ من العرب يقول: فلان كاهل بني فلان: أيْ مُعتمَدهم في المُلمّات وسندهم في المُهمّات، وهو مأخوذ من كاهل الظهر؛ لأنّ عنق الفرس يتساند إليه إذا أَحْضَر... ومُعتمَد الفارس عليه، ومن هذا قول رؤبة يمدح مَعَدًّا:

إذا معدٌّ عَدَتِ الأوائلا فابْنا نزارٍ فرَّجا الزّلازلا
حصنَيْن كانا لِمعدٍّ كاهلا ومَنْكِبَيْن اعْتليا التَّلاتِلا

وشرح الأزهريُّ البيتين بقوله: «أيْ كانا - يعني ربيعة ومضر - عُمْدة أولاد معدٍّ كلهم»(١٠).

ويُؤكّد ذلك حديثٌ منسوب إلى النبيِّ ﷺ، فقد رووا أنه سأل رجلاً أراد الجهاد معه: هل في أهلك من كاهل؟ قال الأزهري «أيْ: هل فيهم مَن

(١٠) اللسان: كهل.

تعتمده للقيام بشأن عيالك الصغار ومَن تُخلِّفهُ ممن يلزمك عَوْلُهُ، ألا تراهُ قال له: ما هم إلا أُصَيْبِيةٌ صغار، فأجابه وقال: ففيهم فجاهد، والعرب تقول: مضرُ كاهلُ العرب وسَعد كاهل تميم»[(١١)].

فيتبيّن من هذا كله أنّ الدلالة الأصلية لـ«الكهل» هي «مَنِ اكتملتْ قوّته وقدرته واستطاعته»[(١٢)]، أيْ: مَن تجاوز الشباب ولمْ يبلغ الكهولة بمعناها المعاصر؛ لأنّ الشباب يكون قبل اكتمال هذه الصفات، والكهولة تؤذن باضمحلالها، أمّا الشيبُ فهو صفةٌ غير لازمةٍ له، مما يعني أنّ لفظ «الكهل» كان قديماً، قريباً من حيث دلالته من لفظ «الرَّجل» إذا أُريدَ به الوصف لا الاسم، قال ابن سيدة: «وقد يكون الرّجلُ صفةً ؛ يعني بذلك الشدّةَ والكمال»[(١٣)]. ولعلّ ذلك هو المراد في قول لبيد بن ربيعة:

فبنى لنا بيتاً رفيعاً سَمْكُهُ فسما إليه كهلُها وغُلامُها

وقول النابغة الجعدي:

كهولاً وشبّاناً كأنّ وجوههمْ دنانيرُ مما شِيْفَ في أرض قيصرا

ويُؤيّد ذلك ورود صيغة khl – وهي «كَهْل» أو «كاهل» – اسماً لإلهٍ عرفه العرب في مناطق شتى قبل الإسلام؛ وقد ذهب الباحثون إلى أن هذا الاسم الذي ذُكِر في النقوش المعينية والثمودية معناه «القوي القادر»[(١٤)]، فضلاً عن وروده في نقوش «الفاو» – ولغتها عربيّة شماليّة – في وادي الدّواسر فقد نُسِبَ ذلك الموقع في النقوش السبئيّة إليه: hgrn qrytm d̲t

---

(١١) نفسه.

(١٢) نقل ابن منظور عن الأزهري قوله: «وقيل له كهلٌ لانتهاء شبابه وكمال قوّته».

(١٣) اللسان: كهل.

(١٤) Höfner , pp.292, 376.

khlm «قرية ذات كاهل»[١٥].

وأغلب الظن أن الفعل الثلاثي «كَهَلَ» بمعنى «صار قويًّا قادراً» كان في العربية قديماً ثم هُجِرَ، ويؤكّد ذلك جملة أدلّة: أوّلها: ورود صيغتي «افتعل» و«تفعّلَ» منه ؛ قالوا: اكتهلَ و: تكهّلَ: أيْ صار كهلاً، كقول عمر بن أبي ربيعة:

إنّما ألْوَتْ بعقلي بعدَ حِلْمٍ واكتهالِ

وثانيها: ورود الاسم «كاهل» في العربيّة، فهو صيغة اسم الفاعل من الثلاثي[١٦]، وثالثها: ورود هذا الجذر ومشتقاته في الجعزية - وهي أقدم اللغات الساميّة في الحبشة - بالدلالة نفسها، ففيها الفعل الثلاثي kehla (واسم الفاعل منه kahâlî) والأوزان الفعلية: أفعلَ 'akhala (واسم الفاعل منه 'akhâli) و: تَفَعَلَ takehla و: تفاعلَ takâhla[١٧]، ورابعها: ورود صيغة khl - مسبوقة بالباء الجارّة - مراراً في النقوش اللحيانيّة - وهي عربيّة شماليّة - من بئر العذيب[١٨]، ولعلّها صيغة المصدر من ذلك الثلاثي المهجور. أضفْ إلى ذلك ورود صيغتين للمضارع منه: إحداهما: khl' (أستطيعُ، أَقْدِرُ) في النقوش الآرامية القديمة؛ والأخرى: tkhl «تستطيع (هي)» في النقوش الفينيقية[١٩].

٣- ابتهل:

قال صاحب اللسان: «الابتهال هو التضرّع والاجتهاد في الدّعاء وإخلاصه لله عزّ وجلّ، وابتهل في الدّعاء: إذا اجتهد...، والمبتهِل: معناه في

(١٥) أضواء جديدة على دولة كندة للأنصاري ٨.

(١٦) أنكر ابن منظور ورود الفعل الثلاثي، ولكنه أقرّ اشتقاق اسم الفاعل «كاهل» منه، قال: «ولم يقولوا كهلَ إلا أنه قد جاء في الحديث: هل في أهلك من كاهل»: اللسان: كهل.

(١٧) انظر: Leslau, p.277.

(١٨) انظر: Stiehl, p.4، ولكن بعض الباحثين يرون أنها في جميع شواهدها اسم مكان!

(١٩) انظر: KAI 222B + 223 B, KAI 26 II.

كلام العرب المُسبِّح الذّاكر لله، ومنه قول نابغة شيبان:

أقطـعُ الليـلَ آهـةً وانتحابـا وابتهـالاً لله أيَّ ابتهـال

وأنشد ثعلب لابن الأعرابي:

مُنْعَفِـرُ الوجـهِ فيـه جائفـةٌ كمـا أكـبَّ الصـلاةَ مُبتهـل

أرادَ: كما أكبَّ في الصلاة مُسبِّحٌ، وفي حديث الدّعاء: والابتهالُ أنْ تمدَّ يديكَ جميعاً، وأصله التضرّع والمبالغة في السؤال»[٢٠].

ولمّا كان «ابتهلَ» على وزن «افتعلَ» ينبغي أن يكون مصوغاً من الثلاثي المجرّد «بهل» ؛ أيْ كما صيغت الأفعال «اقتربَ واقتطعَ واقتتلَ» من «قربَ وقطعَ وقتلَ»، فهل هو كذلك ؟ قالوا: إنّ الأصل في هذا الفعل أن يُستعمل وصفاً للناقة في قولهم: بهِلتِ الناقةُ تبهَلُ بَهَلاً: حُلَّ صِرارُها وتُرِكَ ولدُها يرضعها، وناقةٌ باهل: مُسيَّبة، والباهل: الإبل التي لا صرار عليها. وصيغَ منه وزن «أفعلَ» للتعدية ؛ كقولهم: أبهلَ الرّاعي إبلهُ: إذا تركها من الحَلْب فهي مُبْهَلة، ومنه قول الشاعر:

وأبهلـوا سَـرْحَهم مـن غيـر توْدِيـةٍ ولا ديـارٍ، ومـاتَ الفقـرُ والعَـدَمُ

ثم ساقوا شاهداً يرد فيه اسم الفاعل وصفاً للمرأة، وهو قول الفرزدق:

غدتْ من هلالٍ ذاتَ بعلٍ سـمينةً وآبـتْ بثَـدْيَيْ باهـلِ الـزّوجِ أيِّـمِ

قالوا: يعني بقوله «باهل الزوج» باهلَ الثَّدْي، وهو مستعارٌ من الناقة الباهل التي لا صرار عليها، فإذا لم يكن لها زوجٌ لم يكن لها لبن.

ثمّ عُمّمَ المعنى في قول العرب: بهَلتُ الرَّجُلَ وأبْهلته: إذا خلّيتُه وإرادتَه ؛ وأبهلَ الرّاعي رعيّتَهُ واستبهلها: إذا أهملها، وجعلوا منه قول النابغة الذبياني في بني شيبان:

(٢٠) اللسان: بهل.

وشيبان حيث استبهلَتْها السواحلُ

أيْ أهملها ملوكُ الحيرة؛ لأنهم كانوا على ساحل الفرات لا يصل إليهم السلطان يفعلون ما شاؤوا(٢١).

فيكون المعنى المشترك لوزنَيْ «بهلَ» و«أبهلَ» هو «خلَّى وتركَ وأهملَ»، وليس ثمة صلة قريبة أو بعيدة - كما هو واضح - بينهما وبين «ابتهلَ»، زد على ذلك أنّ التضرّع والدّعاء والتسبيح تقتضي الإقبال والدنوّ والقُرْب لا الترك والبُعد والإهمال! غير أنّ المتقدّمين أوردوا للثلاثي «بهل» دلالةً أخرى، قال ابن منظور: «وفي حديث أبي بكرٍ: مَنْ وَلِيَ من أمور الناس شيئاً فلمْ يعطهم كتابَ الله فعليه بَهْلةُ اللهِ: أيْ لعنتُهُ»(٢٢)، وربط بعضهم هذا المعنى بالمعنى السابق، قال الفخر الرازيّ: «لأنّ معنى اللعن هو الإبعادُ والطّردُ، وبهلهُ اللهُ: أيْ لعنهُ وأبعدهُ من رحمته ؛ مِن قولكَ: أبهلهُ إذا أهملهُ، وناقةٌ باهل: لا صرار عليها بل هي مُرسَلة مخلاة كالرجل الطريد المنفي... فكأنَّ مَن بهلهُ اللهُ فقد خلاّه اللهُ ووكلهُ إلى نفسه فهو هالكٌ»(٢٣). وهذا الربط مقبول، ولكنه لا يُعلّلُ التضاد الجليّ بين دلالتي «الإبعاد أو اللعن» و«التضرّع أو الدّعاء».

ولو عدنا إلى نصٍ مكتوب بلغة اليمن القديم التي سمّاها المتقدّمون «الحِمْيريّة» أو «لسان حِمْيَر» لوجدنا دلالةً أخرى للثلاثي «بهل» - لمْ

---

(٢١) اللسان: مع شيء من الاختصار والتقديم والتأخير. ورواية بيت النابغة في ديوانه:

ورَبِّ بني البَرْشاء ذُهلٍ وقَيْسِها وشيبان حيث استبهلَتْها المناهلُ

وشرحهُ الأعلمُ بقوله: «ومعنى استبهلَتْها: أخرجتْها وفاضتْ بها وأقامتْ بها مُبْهَلةً أيْ مُهمَلةً مُخَلاّة»، انظر: ديوان النابغة ص ١١٧.

(٢٢) اللسان و غريب الحديث لابن قتيبة ١/ ٢٥٣ و المعجم الكبير للطبراني ٥/ ٢١ ، ولكن البوصيري في: إتحاف الخيرة ٥/ ١٤ وابن حجر في: المطالب العالية ٢/ ٣١٠ نسبا هذا الحديث - مع تغيير طفيف فيه - إلى النبيّ ﷺ.

(٢٣) تفسير مفاتيح الغيب للفخر الرازي ٨/ ٧٢.

يذكرها المتقدمون - تُبيّن الصلة بينه وبين «ابتهل»، فقد روى الهمداني أنه «وُجِد في قبرٍ من مقابر الملوك باليمن لوحٌ مكتوب فيه بالمسند: (أنا ديباجة بنت نَوف بن ذي شقر بن ذي مراثد، بهلكُ لأدمي يشأم لى مد طحين...)»، وعقَّب عليه بقوله: «معنى ذلك: أنا فلانة... أمرتُ عبدي يشتري لي مُدَّ طحينٍ...»[٢٤]. وتفسير الهمداني صحيح، لكنّ النّص بحاجةٍ إلى مزيدٍ من الشرح لأنه ليس واضحاً لغير المختصين، فالفعل «بهل» معناه «قال» غير أنه لمْ يرد في النقوش العربية الجنوبيّة[٢٥]، والكاف المتصلة به تقابل تاء المتكلم، والاسم «أدم» ورد اسم جمع في النقوش للدلالة على الأتباع أو الموالي، والفعل المضارع «يشأم: يشتري» ورد بالمعنى نفسه في النقوش، فيكون المعنى الأقرب للنّص هكذا «أنا فلانة... قلتُ لخادمي يشتري لي مُدَّ طحينٍ...». كما أنّ الفعل الثلاثي behla/bahla في اللغة الجعزية بالمعنى نفسه، واسم الفاعل منه bahâlî «قائل»، وكذلك الفعل المزيد 'bhala - الذي تحوّلت صيغته إلى 'bala - وهو على وزن «أفعلَ»[٢٦]، أيْ كالفعلين «خَبِرَ» و«أخْبرَ» في العربيّة. وهذا يعني أن «ابتهلَ» ليس مصوغاً من الثلاثي «بهِلَ» أو «بهَلَ» بمعنى «خلَّى وتركَ وأهملَ» بل من ثلاثي آخر مُماتٍ أو مهجور معناه - كما في الحميريّة والجعزية - «قال، تكلّمَ»، ويُؤيّد ذلك ورود bâlu في الأكادية بمعنى «تضرّعَ، ابتهل» أيضاً[٢٧].

---

(٢٤) ورد لفظ «بهلك» في الجزء الثامن من الإكليل للهمداني محرفاً في طبعاته الثلاث بتحقيق أنستاس الكرملي عام ١٩٣١ ثم نبيه أمين فارس عام ١٩٤٠ ثم الأكوع عام ١٩٧٩، وانظر القراءة الصحيحة في: Rabin, p.51.

(٢٥) ولكنه معروف في لغة اليمن اليوم، يقولون: «بَهَلَ فلانٌ بفلانٍ: أيْ رحّبَ به واستقبله ببشاشة»، المعجم اليمنيّ للإرياني ٨٩.

(٢٦) انظر: Leslau, p.89.

(٢٧) AHw, p. 101.

وإذا رغبنا في إكمال ما قاله المتقدمون فسنجد أنهم جعلوا دلالة اللعن تشمل كذلك الأوزان الثلاثة: «افتعلَ» و«فاعلَ» و«تفاعلَ»، قالوا: «وباهلَ القومُ بعضُهم بعضاً وتباهلوا وابتهلوا: تلاعنوا...، ومعنى المباهلة أنْ يجتمع القومُ إذا اختلفوا في شيء فيقولوا: لعنةُ الله على الظالم منّا»(٢٨)، واحتجوا لذلك بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [آل عمران: ٦١]. ومن الواضح أنّ الدلالة في وزنَيْ «باهلَ» و«تباهلَ» - وفي مصادرهما «المباهلة والتباهل» - هي «المناقشة والمُحاجّة» اللذان لا يكونان بالملاعنة بل بالقول والكلام، فهما كلاهما مصوغان - كوزن «ابتهلَ» - من «بهل» الممات أو المهجور بمعنى «قال»؛ لأنّ القوم يجتمعون حين يختلفون لا ليتلاعنوا بلْ ليتناقشوا ويتباحثوا ويتجادلوا ويتحاجّوا ويتقاولوا حتى يصلوا إلى اتفاقٍ فيقولون - عندئذ -: لعنة الله على الظالم منّا، أيْ على مَن يخالف الاتفاق ويحيد عنه، لأنّ الظُلم هو مُجاوزةُ الحدِّ والمَيْلُ عن القصد ووَضْعُ الشيء في غير موضعه، والدليل على ذلك ما أورده صاحب اللسان في تفسير «الظُّلم»، قال: «وفي حديث أمّ سلمة أنّ أبا بكرٍ وعمر ثكما الأمرَ فما ظلماه، أيْ لمْ يعدلا عنه، أيْ ركبا ثَكَمَ الطريق، وهو قصْدُه، تريد أنهما لزما الحقّ ولمْ يظلما ولا خرجا عن المَحجّة يميناً ولا شمالاً»(٢٩). ويبدو لي أنّ معنى اللعن الذي ذكروه لفعل «ابتهلَ» في الآية الكريمة لا يستقيم إذا وضعناها في سياق الآيات التي سبقتها وهي قوله تعالى:

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ

(٢٨) اللسان بهل.

(٢٩) اللسان بهل و: ثكم.

تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [آل عمران: ٥٩-٦١].

إذ يُطلب هنا من الفريقين الإقرارُ بما وُصف به السيّد المسيح في القرآن الكريم ثم يكون الابتهال: أيِ التضرّع لله عزّ وجلّ فهو وحده - لأنّه الخالق - صاحبُ الأمر. ويوافق هذا التفسير الدلالةَ التي ذكرها «مختار الصحاح» لفعل «ابتهل» في الآية الكريمة: «ثم نبتهلْ، أي نخلص في الدّعاء»(٣٠)، كما يوافق الوجهَ الذي رجحه الفخر الرازي، قال: «فيه وجهان ؛ أحدهما: أنّ الابتهال هو الاجتهاد في الدّعاء ولا يقال: ابتهلَ في الدعاء إلا إذا كان هناك اجتهاد، والثاني: أنه مأخوذ من قولهم: عليه بهلةُ الله، أيْ لعنته...، والقولُ الأوّل أولى لأنه يكون قوله «ثم نبتهلْ» أيْ ثم نجتهد في الدعاء ونجعل اللعنة على الكاذب. وعلى القول الثاني يصير التقدير: ثم نلتعن فنجعل لعنة الله على الكاذبين، وهي تكرار»(٣١). ولعلّ الراغب الأصفهاني أراد ذلك في قوله: «والبَهْلُ والابتهال في الدعاء: الاسترسال فيه والتضرّع، نحو قوله تعالى: ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [آل عمران: ٦١]، ومَن فسّر الابتهال باللعن فلأجل أنّ الاسترسال في هذا المكان لأجل اللعن»(٣٢). ويُؤكّد ما قلناه أنّ وزن tabâhla «تفاعلَ» في الجعزية معناه «تجادل، تناقش»(٣٣)، فتكون الدلالة المشتركة بين «بهلَ» و«ابتهلَ» و«باهلَ» و«تباهلَ» هي القول والكلام، ولكنّ الابتهال خاصٌ بالتضرّع لأنه دعاءُ المولى عزَّ وجلَّ.

---

(٣٠) مختار الصحاح.

(٣١) تفسير مفاتيح الغيب للفخر الرازي ٨/ ٧٢.

(٣٢) المفردات: ٦٣.

(٣٣) Leslau, p.89، وقد تكون tbhl في نقشٍ لحياني صيغة «تباهلَ»، ولكنّ ذلك غير مؤكّد لأنّ ما قبلها وما بعدها مطموس، انظر: Caskel, 80.

٣ - ألكَ:

لا شكّ في أنّ الألفاظ: «مَلَك» و«ملائكة» و«مألُكة» و«ألِكْني» و«أَلُوك» ترجع كلها إلى أصلٍ واحد في اللغة معناه «الإرسال»، ولكن تكرار القول فيها في أربعة فصول من المعاجم - وهي «ألك» و «لأك» و «لوك» و «ملك» - يدلّ على ارتباك اللغويين في تأصيلها[٣٤]. وخلاصة ما قالوه فيها أنّ صيغ: أَلوك وأَلوكة، ومألُك ومألكة - بضم اللام وفتحها - تعني جميعها «الرسالة»، وقد وردت «ألوك» في قول لبيد:

وغلامٌ أرسلته أمُّهُ بألوكٍ فبَذلْنا ما سَألْ

و«مألُك» في قول عدي بن زيد:

أبلغ النعمان عني مألُكاً أنّه قد طال حَبْسي وانتظار

أما شواهد «مألكة» فهي كثيرة، ومنها قول النابغة:

أبلغْ لديكَ أبا قابوسَ مألُكةً الواهبَ الخيلِ والقيناتِ والنَّعما

ثم اختلفوا في اشتقاقها، فقال الليث وابن سيدة: إنها من: ألكَ الفرسُ اللجامَ في فيه يألُكُه: عَلَكهُ، وقد سُمّيتِ الرسالةُ كذلك لأنها تُؤلكُ في الفمّ، وقال الجوهريّ وابن برّي: بل هي من: ألكَ بين القوم: إذا ترسّلَ أَلْكاً وأُلوكاً (بفتح الهمزة في الأول وضمّها في الثاني)، والاسم منه الأَلوك[٣٥]. أمّا صيغة الأمر من هذا الفعل فهي «ألِكْني» للمخاطب فحسب[٣٦] التي لا ترد في الشواهد - وهي كثيرة وكلها من الشِّعر - إلا على هذا النحو، أيْ مقترنةً

---

(٣٤) وردت في الفصول الأربعة في اللسان والصحاح، وفي ثلاثة منها - ماعدا «لوك» - في القاموس المحيط والمعجم الوسيط.

(٣٥) اللسان: ألك.

(٣٦) نقل ابن منظور عن ابن الأنباري: «ويُقال: أَلِكاني وأَلِكوني وأَلِكيني وأَلِكْنَني» (اللسان: ألك)، ولا أعرفُ شاهداً لأيٍ منها.

بالنون وياء المتكلم، متبوعةً باسمٍ مجرور بـ «إلى» كقول النابغة:

ألكنـي إلـى النعمـان حيـث لقيتَـهُ فأهـدى لـه اللهُ الغُيـوثَ البـواكرا

وقد اختلفوا كذلك في بناء هذه الصيغة واشتقاقها، فقال بعضهم: «ألـكَ بين القوم...، فـإنْ نقلتـهُ بـالهمزة [أيْ وزن أفعـلَ] قلـتَ: ألَكْتُـهُ إليـه رسـالةً والأصلُ أألَكْتُهُ فأخّرتِ الهمزة بعد اللام وخفّفتْ بنقل حركتها على ما قبلهـا وحـذْفِها، فـإنْ أمـرتَ مـن هـذا الفعـل المنقـول بـالهمزة قلـت: ألكنـي: أيْ أرسلني إليها برسالة، إلا أنه جاء على القلب إذْ يقضي اللفظُ بـأنّ المخاطـبَ مُرسِلٌ ؛ وهو في المعنى بعكس ذلك؛ لأنّ المخاطبَ مُرسَلٌ إليـه والمـتكلّم مُرسِلٌ: كنْ رسولي إليها بهذه الرسالة»، وقال آخرون: «الأصل فيـه: ألئكنـي فحُوّلـت كسـرةُ الهمـزة إلـى الـلام وأُسـقطت الهمـزة»(٣٧)، وأجـاز الأعلـم الشنتمري – في شرحه على ديـوان النابغـة – كـلا المـذهبين، فقـال: «أصـل ألِكني: ألئكني فخُففتِ الهمزةُ وغلبت حركتها علـى الـلام، وأصـل ألِكنـي: آلِكني فقلبت الهمزة من فاء الفعل إلى عينه ثم خففـت بعـد القلـب، وأصـلُ تعدّي ألكني بحرف الجرّ: ألِـكْ عنّـي: أيْ بَلِّـغ عنـي، فحُـذف حـرفُ الجـرّ ووُصل إلى الفعل كما يُقال: نآني ونأى عنّي»(٣٨). وارتباك اللغويين هنا بيّن، فهم يشتقون صيغة الأمر هذه من «ألك» تارةً ومن «لأك» تارةً أخرى.

وقد ذهب المستشرقون الذين عُنوا بدراسة الدّخيل في القـرآن الكـريم، إلى أنّ لفظ «الملائكـة» سـريانيّ وصـل إلـى العربيـة بوسـاطة الجعزيـة(٣٩)، ولكـنهم أغفلـوا بيـان الصـلة بينـه وبـين الصـيغ الأخـرى التـي ذُكـرتْ. أمّـا

(٣٧) اللسان: ألك، لأك، لوك.

(٣٨) شرح الأعلم على ديوان النابغة، انظر: ديوان النابغة ٧١.

(٣٩) انظر: Nöldeke, N. Beiträge, p.34 + Jeffery, p.269 + Leslau, p.303.

اللغويون العرب فقد انقسموا في ذلك فريقين، إذِ اشتقّه بعضهم من «لأَكَ» – وهو المذهب الصحيح كما سنرى – وقال ابن السكّيت: إنّ «ملائكة» جمع «مَلأكة» و«مَلأك» على وزن «مَفْعَل» ثم تُرك الهمزُ فقيل «ملَك» في الوُحْدان، في حين ذهب الكسائيّ وابن برّي إلى أنّ «المَلَك» – وهي صيغة المفرد من «الملائكة» – أصلها «مألك» لأنه من «الألوك»: أيِ الرسالة، ثم قُلبت الهمزةُ إلى موضع اللام فقيل «مَلأك»، ثم خُفّفت الهمزة بأن ألقيت حركتُها على الساكن الذي قبلها فقيل «مَلَك»، فلمّا جمعوا «مَلَك» ردّوا الهمزة إليه فقالوا «ملائكة و ملائك»(٤٠).

ولا شكّ أن هذا اللفظ من الألفاظ الساميّة المشتركة، ويشهد على ذلك ورود ml'k في الفينيقية والآرامية القديمة(٤١) وmal'âk في العبرية(٤٢) وmal'akâ في السريانية(٤٣) وmal'ak في الجعزية(٤٤) وmalâhu في الأكديّة(٤٥)، وmlak أيْ mal'ak في الأوغاريتية الألفبائيّة(٤٦)، والدلالة فيها كلها هي «الرّسول» أو «المَلَك». وهذا يعني رجحان المذهب القائل إنّ صيغة المفرد هي «ملأك» – لا «مألك» – وكانت هي الأصل في العربية أيضاً، ثم تُرك الهمز فصارت «ملَك» وهي وحدها الواردة في القرآن الكريم، أمّا صيغة «مَلاك» الشائعة اليوم فلم ترد – فيما أعلم – إلا في معاجم العصر

(٤٠) اللسان ألك، لأك. وقال الفيروزآبادي في أحد المذهبين: «الملأكُ: المَلَكُ لأنه يُبلّغ عن الله تعالى، وزنه مَفْعَل والعين محذوفة»، ولكنه ذكر المذهب الآخر (القاموس ألك، لأك).

(٤١) انظر: KAI 19 + KAI 224 + 233.

(٤٢) KBL.

(٤٣) قاموس سرياني عربي ١٦٧.

(٤٤) Leslau, p.303.

(٤٥) وقيل: إن الأكدية أخذتها من الكنعانية، انظر: AHw, p. 593.

(٤٦) انظر: Gordon, nr. 1344 و: Segert, p.43.

الحديث، وقد أجازها مجمع القاهرة، ورأى «أنّ الأصل فيها (مَلأك)، نُقلتْ حركةُ الهمزة إلى اللام ثم سهلت بقلبها ألفاً فصارت (مَلاك)»(٤٧)، فشابهت بذلك تحوّل صيغة «مَرْأة» - إلى «مَرَة» كما أورده صاحب اللسان، قال ابن الأثير: أنّثوا «مَرْءٌ» فقالوا: «مَرْأةٌ»، وخفّفوا التخفيف القياسيّ فقالوا: «مَرَة» بترك الهمز وفتح الرّاء...، وقال ابن الأنباريّ: الألف في امرأةٍ وامْرِئٍ ألف وصلٍ، وللعربِ في المرأة ثلاث لغاتٍ ؛ يقالُ: هي امْرأتُهُ وهي مَرْأتُهُ وهي مَرَتُهُ(٤٨). ويقتضي ذاك أن تكون الصيغة الأصلية للفظ الذي يعني «الرسالة» هي «ملأكة»، ويؤكِّد ذلك ورود صيغتي mlakt أيْ mal'akat في الأوغاريتيّة وmal'ekt في الجعزيّة بالدلالة نفسها، فإنِ اعترضَ مُعترض بعدم وجود الفعل «لأكَ» في العربية أجبناه بأن الحال كذلك في اللغات الساميّة المذكورة ماعدا الأوغاريتية والجعزية.

فإما أن تكون العربية اشتقت فعلاً من هذا الاسم «ملأك/ مَلَك» كما فعلت مع كثير من أسماء الأعيان «لأنّ البداهة تقضي بوجود أسماء الأعيان المشاهدة المرئيّة التي تناولتها الحواس قبل أسماء المعاني»(٤٩)، نحو: ختمَ (من: الخاتم) و: دمغَ (من: الدِّماغ)، و: رأسَ (من: الرّأس) و: شغُفَ (من: شغاف القلب) و: أفلسَ (من: الفلس) و: توّجَ (من: التّاج) و: كلّلَ (من: الإكليل) و: ساعدَ (من: السّاعِد) و: عاضدَ (من: العضُد) و: تسوّقَ (من: السُّوق)، وإما أن

(٤٧) العيد الذهبي لمجمع اللغة العربيّة: ٢٥١-٢٥٢. ويظهر أن «مَلاك» عُرفت قديماً، ويُقال: إنّ أقدم شواهدها لا يتجاوز القرن السابع الهجري، انظر: اللغة العربية لجرجي زيدان: ٧٧ و: Rabin, 134.

(٤٨) اللسان مرأ، وصيغتا «مَرَه» المنتهية بالهاء الساكنة و«مَرتُهْ» المضافة إلى الضمير - بفتح الراء أو سكونها - شائعتان اليوم في لهجات بلاد الشام، وتحوّلت «امْرأتُهُ» إلى «مْراتُه» في مصر.

(٤٩) دراسات في فقه اللغة لصبحي الصّالح: ١٨٢.

يكون الفعل هو الأسبق، ثم اشتقّ الاسمُ منه، غير أنّ الأصل فيه هو – كما سبق القول – «لأكَ» قبل أن يتحوّل بالقلب المكاني إلى «ألكَ»، والدليل على ذلك جملة أمور؛ أوّلها: أنّ هذه الصيغة وحدها هي التي ترد في الماضي المسند إلى تاء المتكلم والمخاطب في الساميّات: likt أيْ la'iktu و la'ikta = «لَئِكتُ/ لَئِكتَ» بمعنى «أرسلتُ/ أرسلتَ» في الأوغاريتية(٥٠)، وكذلك في ماضي الغائب la'aka «أرسلَ» في اللغة الجعزية التي اشتقت منه اسم الفاعل la'âki «مُرْسِلٌ» واسم المفعول le'ûk «رسولٌ» وصيغة mal'ak «ملَكٌ، مُرسَلٌ»، وصيغة المبني للمجهول tale'ka «أُرسِلَ»، وفي صيغة المشاركة talâ'ka = تلاءكَ «تراسلَ»(٥١). وثانيها: ورود صيغة «استفعلَ» المشتق من «لأكَ»؛ قال ابن منظور: «اسْتلأكَ لهُ: ذهبَ برسالته، عن أبي عليّ»(٥٢). وثالثها: أننا لا نجد لفعل «ألكَ» المزعوم شواهد من الشعر أو النثر في العربية في صيغتي الماضي أو المضارع – لازماً أو متعديّاً – أو في صيغة المصدر أو في صيغتي اسم الفاعل واسم المفعول البتة، فليس في العربية – فيما أعلم – عباراتٌ نحو: ألكتُ فلاناً أَلْكاً، أو: ألكتُ إلى فلان أُلوكاً، أو: يألك فلان، أو: فلان آلِكٌ، أو: بعث فلانٌ بمألوكٍ أو مألوكةٍ، ولا يُستثنى من ذلك سوى «أَلُوك» على وزن «فَعُول»، وتعليله – عندي – أنه مقلوب «لَؤوك»(٥٣) فيطابق بذلك اسم

---

(٥٠) انظر: Gordon, nr. 1344 و: Segert, p.59.

(٥١) Leslau, p.303.

(٥٢) (اللسان: لأك)، ولا يُضعف ذلك ذكره في موضع آخر المذهب الذي يرى أنه مشتق من «أَلَكَ»: «ويقال: جاء فلانٌ قد استألكَ مألُكتَهُ، أيْ حمل رسالته» (اللسان: ألك).

(٥٣) فطن إلى هذا بعض اللغويين، قال ابن منظور في سياق حديثه عن «ألكني»: «وقياسه أن يقال: ألاكهُ يُليكهُ إلاكةً، قال: وقد حُكيَ هذا عن أبي زيد، وهو وإن كان من الأَلوك في المعنى – وهو الرسالة – فليس منه في اللفظ؛ لأنّ الألوك فَعُولٌ والهمزة فاء الفعل، إلا أنْ يكون مقلوباً أو على التوهّم» (اللسان: لوك).

المفعول le'ûk في الجعزية مَبنى ومَعنى. زدْ على هذا ورود شواهد مؤكّدة لما ذهبتُ إليه، كقول بعضهم:

فلستَ لإنْسيٍّ ولكنْ لِمَلأكٍ تَنَزَّلَ من جَوّ السّماءِ يَصُوبُ

وقول آخر:

كلُّ أهلِ السّماءِ يَدْعو عليكمْ من نبيٍّ ومَلأكٍ ورَسولِ (٥٤)

ويُرجّحُ هذا المذهب أنّ العرب كانوا في نطق الهمزة فريقين: أحدهما ينطقها، والآخر يسهّلها، قال أبو زيد الأنصاري (ت ٢١٤هـ): «الهمز على ثلاثة أوجه: التحقيق والتخفيف والتحويل، فالتحقيق منه أن تُعطى الهمزةُ حقّها من الإشباع... كقولك من الخبء: قد خبأتُ لك...، والتخفيف كقولك: خبات فجعل الهمزة ألفاً ساكنة...، والتحويل أن تحوّل الهمز إلى الياء والواو كقولك: خبيتُ...، وأهل الحجاز وهذيل وأهل مكّة والمدينة لا ينبرون. وقف عليها عيسى بن عمر فقال: ما آخذ من قول تميم إلا بالنّبر وهم أصحاب النبر، وأهل الحجاز إذا اضطروا نبروا» (٥٥). والظاهر أنّ هذا الاختلاف في نطق الهمزة كان ينطبق على الألفاظ المذكورة، والدليل على ذلك قول ابن منظور: «ومَن روى بيت زهير: (إلى الظهيرة أمْرٌ بينهم لِيَكُ) فلأنّه أرادَ: لِئَكٌ، وهي الرسائل ؛ فسّره بذلك ثعلب ولمْ يهمز لأنه حجازيّ» (٥٦)، فلمّا جاء الاسم «مَلائكة» مهموزاً ومفرده «مَلَك» (٥٧) غير

---

(٥٤) اللسان: ألك + ملك.

(٥٥) اللسان: مقدّمة ابن منظور.

(٥٦) اللسان: لأك.

(٥٧) ورد في أحد المواضع في اللسان أنّ «المَلَك من الملائكة واحد وجمع»، والظاهر أنه أراد بذلك قوله تعالى: ﴿وَٱلۡمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرۡجَآئِهَاۚ﴾ [الحاقة: ١٧]، ولكنه ذكر هناك أنه عنى به الجنس (اللسان: ملك)، ومثله: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا﴾ [الفجر: ٢٢]. والصحيح أنه مفرد، وقد ورد بصيغة المثنّى مرّتين في القرآن الكريم.

مهموز في القرآن الكريم وحّد النطق في هذين اللفظين، فالمفرد «مَلَكٌ» بلهجة أهل التسهيل، والجمع «ملائكة» بلهجة أصحاب النبر.

٤- الرُّكْبة:

إنّ الدلالة الأساسيّة لفعل «ركِبَ» وما اشتُقَّ منه في العربيّة – أيِ الأوزان: فعَلَ وفعّلَ وأفعلَ و تفعّلَ وتفاعلَ واستفعلَ - هي «العُلوّ»، يُقال: ركِبَ الدّابّة: علا عليها، و: كلُّ شيءٍ علا شيئاً فقد ركبهُ، و: ركبَ عليه وفيه رُكوباً ومَركَباً: علاهُ، و: ركّبَ الشيءَ: وضعَ بعضَهُ على بعض، و: أركبَ فلاناً: جعل لهُ ما يركبه، و: تركّبَ الشيءُ وتراكبَ: ركبَ بعضُهُ بعضاً، و: استركبَ فلاناً: طلبَ منه أن يُركِبَهُ. واسم الفاعل من الثلاثي هو «الرّاكب»، واسم المفعول هو «الرَّكوب» و«المَركوب»: أيْ ما يُركبُ من الدّوابّ وغيرها، يقال: جَملٌ وناقةٌ ركوب، و: طريقٌ ركوب: أيْ مركوبٌ مُذَلَّل، و: المَرْكَب: واحدُ المَراكب، وهو ما يُركبُ عليه في البرّ والبحر، ولكنه غلب في السفينة، و: الرّاكبُ والرّاكبةُ: فَسيلةٌ تكون في أعلى النّخلة. واستعملوه مجازاً فقالوا: ركبهُ الدَّينُ وارتكبهُ: غلبهُ وكثُرَ عليه، و: ركبَ الذَّنْبَ وارتكبهُ: اقترفهُ، و: ركبَ الهولَ والليلَ: حملَ نفسَهُ على المشقّة، و: ركبَ رأسَهُ: مضى على غير هدى، و: ركبَ هواهُ: انقادَ له، و: ركبَ جناحَي النّعامة: جدَّ وأسرعَ، و: ركبَ أثَرَ فلانٍ وطريقَهُ: تبعهُ ولحقهُ؛ وفي حديث أبي هريرة «فإذا عُمرُ قد ركبني؛ أيْ تبعني وجاء على أثَري»[٥٨].

ومن المشتقات التي تذكرها المعاجم في هذا الفصل لفظ «الرُّكبة»؛ وهي: مَوصِلُ ما بينَ أسافلِ أطرافِ الفخذين وأعالي السّاقين. ولا نجد تعليلاً لوروده هنا بالرغم من أنّ هذا اللفظ لا يدلّ على العلوّ حقيقةً أو مجازاً. والحقّ أنّ

(٥٨) اللسان: ركب.

موضعه ينبغي ألا يكون في هذا الفصل لبُعده عنه من حيث الدلالة وإنْ كان موافقاً له في الرّسم، فموضعه الصحيح في فصل «برك»، وهو لفظٌ يرى اللغويون أنّ دلالته الأساسيّة هي النزول إلى وجه الأرض والالتصاق بها، يُقال: بَرَكَ البعيرُ بروكاً وابترك وبرّكَ: أناخَ في موضعٍ فلزمَهُ وألقى بَرْكَهُ أو بِرْكَتَهُ - أيْ صدرهُ - بالأرض فهو بارك، و: أبركَ البعيرَ: أناخهُ، و: المَبْرَكُ: اسم المكان من الثلاثي؛ أيْ موضع البروك، وسُمّيَ مستنقعُ الماء بِرْكةً لإقامة الماء فيه. واستعملوه مجازاً فقالوا: بركَ فلانٌ وباركَ على الأمر: واظبَ، و: أبركت السّماءُ وابتركتْ: دامَ مَطرُها، و: برّكَ السّحابُ وابتركَ: إذا أَلَحَّ بالمطر، و: فلان ليس له مَبْرَكُ جَمَل: لا يملك شيئاً، وصاغوا من الثلاثي اسم فعل الأمر فقالوا في الحرب: بَراكِ بَراكِ: أيِ اثْبُتوا، ويؤكّد ذلك قولهم: «بَرَكَ القومُ للقتال وابتركوا: جثوا على الرُّكَب». ونظائر هذا الفعل - مَبنى ومَعنى - في الساميّات: brk في الأوغاريتية[٥٩] وbârak في العبريّة[٦٠] وbrak أو brek في السريانيّة[٦١] وbaraka في الجعزية[٦٢].

واختلف اللغويون في تحديد الفرق بين «البَرْك» و«البِرْكة»، فقيل: هما مترادفان بمعنى الصّدْر أو ما وَليَ الأرضَ من جلد صدر البعير إذا بركَ، وقيل: البَرْك باطنُ الصّدر أو وسطه والبِركة ظاهرُه، وقيل: البَرك للإنسان والبِركة للحيوان، وقيل: البِركة الجمع، والبَرْك الواحد![٦٣]. ويبدو لي أنّ اللفظين ليسا مترادفين فالبَرْك هو الصّدر، أمّا «البِرْكة» فهي الرّكبة، وذلك

(٥٩) Segert, p.182، Gordon, nr. 518.

(٦٠) KBL, p. 153.

(٦١) قاموس سرياني عربي ٣٨.

(٦٢) Leslau, p.277.

(٦٣) اللسان: برك

لأنّ المخلوق - إنساناً كان أم حيواناً - يجثو حين يريد النزول إلى وجه الأرض على ركبتيه ليلصقهما و- معهما الصّدر - بها. ويتفق بذلك الفعل «بَرَكَ» والاسمان «البَرْك» و«البِرْكة» من حيث الاشتقاق والمعنى؛ لأنّ البروك إنما يكون على هذا النحو، والراجح أن يكون هذا الفعلُ نفسه مشتقاً من «البِركة»، شأنه في ذلك شأن الأفعال المشتقة من أسماء الأعيان التي ذُكر بعضها من قبل (دمغَ ورأسَ وعاضدَ...). فالظاهر أن «البِركة» - بهذه الدلالة - هي الصيغة الأصليّة ثم أصابها قلبٌ مكانيّ فأصبحت «الرُّكبة»، والدليل على ذلك - إضافةً إلى ما سبق - أن اللغات الساميّة لا تعرف سوى هذه الصيغة، فالرّكبة هي burku وbirku في الأكديّة(٦٤)، و: brk في الأوغاريتيّة، و: berek في العبريّة، و: bûrkâ في السريانيّة، و: berk - والجمع berâk أو brak' - في الجعزيّة.

ولا تحتاج ظاهرة القلب المكانيّ إلى الوقوف عندها طويلاً، إذ عرفتها العربيّة منذ القديم في الأفعال والأسماء، نحو: جذبَ وجبذَ، و: يئسَ وأيِسَ، و: أحجمَ وأجحمَ، و: لفتَ الرّجُلُ وجههُ وفتلهُ، و: أوباش وأوشاب، و: غَمْغمة ومغمغة، و: مِزراب ومرزاب، و: كلامٌ حوشيّ ووحشيّ(٦٥)، كما عرفتها في العصر الحديث، نحو: تصنّتَ وتنصّتَ، ومَرْسح ومَسْرح، و: جنزير وزنجير. وقد يُعترَضُ على هذا التفسير بورود: ركِبَ فلانٌ: عظُمتْ رُكْبتُهُ، و: الأَرْكَبُ: العظيم الرُكبة، و: رَكَبَ الرَّجُلَ: ضربَ رُكبتَهُ، و: رُكِبَ الرَّجُلُ: شكا رُكبتَهُ، فهذا كلّه - عندي - مردود؛ لأنّه مصوغ – فيما أرى– بعد حدوث القلب المكاني.

---

(٦٤) AHw, pp. 129 +140.

(٦٥) المزهر: النوع ٣٣، وقد أرجعها بعض اللغويين إلى اختلاف اللهجات.

وهكذا نرى أنّ الأخذ بالمنهج المقارن في دراسة العربيّة في إطار الفصيلة السامية عظيم الفائدة في مجالي التأصيل والدلالة حينما يفتقر اللفظ العربيّ إلى الوضوح أو يكون موضع خلاف في أحدهما أو في كليهما بين اللغويين، فقد بيّن لنا هذا المنهج أنّ «الكهل» مأخوذ من «كاهل الإنسان أو الفَرَس» ثم انتقل إلى المعنى المجازي، وأن الفعل الثلاثي «كَهَلَ» بمعنى «صار قويّاً قادراً» كان في العربية قديماً ثم هُجِرَ، و أن «ابتهلَ» ليس مصوغاً من الثلاثي «بهِلَ» أو «بهَلَ» بمعنى «خلَّى وتركَ وأهملَ» بل من ثلاثي آخر مُماتٍ أو مهجور معناه «قال، تكلّمَ»، وأنّ الألفاظ: «مَلَك» و«ملائكة» و«مألكة» و«أَلِكْني» و«أَلُوك» ترجع كلها إلى أصلٍ واحد في اللغة هو «لأكَ» معناه «أرسلَ» قبل أن يتحوّل بالقلب المكاني إلى «ألكَ»، وأن «الرُّكبة» قلبٌ مكانيّ من «البِركة»، وهي ذلك الجزء من جسم الإنسان أو الحيوان الذي يلصق بالأرض حين يجثو.

وسأقدّم مزيداً من الأمثلة التي تبيّن صحّة هذا المنهج المقارن وفائدته في موضع آخر بإذن الله.

* * *

المصادر والمراجع

أ-بالعربيّة:

- إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة: البوصيري، الرياض ١٩٩٩م.
- الإحكام في أصول الأحكام: ابن حزم الأندلسي، القاهرة د.ت.
- أضواء جديدة على دولة كندة: عبد الرحمن الطيب الأنصاري، في: مصادر تاريخ الجزيرة العربية. الرياض ١٩٧٩م.

- الإكليل: أبو محمّد الحسن الهمداني، ج ٨، تحقيق محمّد بن علي الأكوع، دمشق ١٩٧٩م.
- البحر المحيط: أبو حيّان الأندلسيّ، القاهرة ١٣٢٨هـ.
- التعريف والإعلام بما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام: عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي، القاهرة ١٩٣٨م.
- تفسير مفاتيح الغيب: الفخر الرازي، بيروت ٢٠٠٠م.
- دراسات في فقه اللغة: صبحي الصّالح، ط٣، بيروت ١٩٦٨م.
- ديوان النابغة الذبياني، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة ١٩٧٧م.
- الزّينة في الكلمات الإسلامية العربية: أبو حاتم أحمد بن حمدان الرّازي، تحقيق حسين الهمداني، القاهرة ١٩٥٧-١٩٥٨م.
- العيد الذهبي لمجمع اللغة العربيّة بالقاهرة (١٩٣٤-١٩٨٤): عدنان الخطيب، دمشق ١٩٨٦م.
- غريب الحديث: ابن قتيبة الدينوري، بيروت ١٩٨٨م.
- قاموس سرياني عربي: لويس كوستاز، بيروت، د.ت.
- القاموس المحيط: الفيروزآبادي، بيروت، د.ت.
- كتاب العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السّامرائي، بغداد ١٩٨٠-١٩٨٥م.
- لسان العرب: ابن منظور، بيروت، د.ت.
- اللغة العربيّة كائن حيّ: جرجي زيدان، مراجعة مراد كامل، القاهرة، د.ت.
- مختار الصحاح: محمّد بن أبي بكر بن عبد القادر الرّازي، دمشق، د.ت.
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، السيوطي، تحقيق محمّد أحمد جاد المولى وعلي محمّد البجاوي ومحمّد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة ١٩٥٨م.
- المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية: ابن حجر العسقلاني، الرياض، د.ت.

- المعجم الكبير: الطبراني، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، ط٢، ١٩٨٤م.
- المعجم اليمنيّ في اللغة والتّراث: مطهر الإرياني، دمشق ١٩٩٦م.
- المفردات في غريب القرآن: الرّاغب الأصفهاني، تحقيق محمّد سيّد كيلاني، إيران ١٣٧٣هـ.

ب- باللغات الأجنبية:

- Ahw → von Soden
- Caskel , W.: Lihyan und Lihyanisch. Koln 1954.
- Donner , H. und W. Röllig: Kanaanäische und aramäische Inschriften, Wiesbaden 1966-1969.
- Gordon, C.: Ugaritic Textbook. 1965.
- Höfner, M.: Die vorislamischen Religionen Arabiens, in: Die Religionen Altsyriens, Altarabiens und der Mandäer, von H. Gese, M. Höfner, und K. Rudolph. Stuttgart 1970.
- Jeffery, A.: The foreign vocabulary of the Qur'ân, Baroda 1938.
- KAI → Donner und Röllig
- KBL → Koehler , L. und W. Baumgartner
- Koehler, L. und W. Baumgartner: Hebräisches und Aramäisches Lexicon zum Alten Testament , Leiden 1967-1995.
- Leslau, W.: Comparative Dictionary of Ge^{c}ez, Wiesbaden 1987.
- Nöldeke, Th.: Beiträge und neue Beiträge zur semitischen Sprachwissenschaft, Strassburg 1904-1910, (Neud, Amsterdam 1982).
- Rabin, C.: Ancient West-Arabian, London 1951.
- Segert, S.: A Basic Grammar of the Ugaritic Language. London 1984.
- Al-Selwi, I.: Jemenitische Wörter in den Werken von al-Hamdani und Našwan und ihre Parallelen in den semitischen Sprachen. Berlin 1987.
- von Soden, W.: Akkadisches Handwörterbuch. Wiesbaden 1972.
- Stiehl, R.: Neue Lihyanische Inschriften aus Al-^{c}U<u>d</u>aib, in: Christentum am Roten Meer, hrsg. von F.Altheim & R. Stiehl, Bd. I.(3-40) 1971.